الرواية العربية المعاصرة والثالوث المحرم ؛ الدين والسياسة والجنس

Contemporary Arabic novel and the forbidden Trinity; Religion, politics and sex

د. عطية نسرين[1]*، أ.د كنتاوي محمد[2]

[1]جامعة ، (أدرار)، nesrineat83@gmail.com

[2]جامعة (أدرار)، Kantmed2301@univ-adrar.dz

تاريخ الإيداع: 2021/08/11 **تاريخ المراجعة**: 2021/12/26 **تاريخ النشر**: 2022/03/30

ملخص:

يشكل الفن الروائي مكانة معتبرة في حياتنا الواقعية والفنية والجمالية، وقد بات من المؤكد في الوقت الحالي بأن الرواية العربية اختلفت عن سابقتها الكلاسيكية شكلا ومضمونا، ذلك لأنها تشبعت من مختلف الأنساق الجمالية والثقافية، كما أن الروائي المعاصر أشار الى قضايا تدل على عنايته بها كونها قضايا محظورة " الدين والسياسة والجنس"، والهدف من تناولنا لهذه الظاهرة ضمن هذا البحث هو الوقوف على توظيف هذا الثالوث المحرم في الإبداع الروائي المعاصر الذي خالف المألوف وأدخل الرواية عوالم التجديد، ووفق منهج استقرائي بآليتي الوصف والتحليل.

الكلمات المفتاحية: الرواية؛ المعاصرة؛ العربية؛ الدين؛ السياسة؛ الجنس.

Abstract:

The art of Novels constitutes an important place in our real, artistic and aesthetic life. It is certain that the Arabic novel differed from its classical predecessor in terms of form and content due to the various aesthetic and cultural stiles. The contemporary novelist also referred to issues that indicate his care about them, as they are prohibited issues, "religion, politics, and gender." The aim of studying this phenomenon within this paper is to identify the employment of this forbidden trinity in contemporary novelist creativity, which violated the norm and entered the novel into the worlds of renewal and this research is undertaken using an inductive approach employing two mechanisms of description and analysis.

***Key words**: Contemporary Arabic Novel; Religion; Politics; Sex.*

* المؤلف المراسل

1- مقدمة:

اهتمت الرواية العربية بتفاصيل الأحداث والعلاقات الاجتماعية، وهذا ما جعلها جنسا أدبيا متميزا مسَّ مشكلات الواقع، حيث أن كل روائي كان يركز على المواضيع التي تتعلق بمرحلة معينة بوعي سابق لا راهن، ومنه فقد تعاملت الرواية المعاصرة الجديدة مع مواضيع الواقع تعاملا اختلف عن ما قدمته الرواية الحديثة، فتجسدت المشكلات المطروحة ضمن النص الروائي تجسيدا دقيقا ينبع عن وعي ودراية من كاتبها، فالثالوث المحرم كان هو الموضوع المركزي في النصوص الروائية المعاصرة، ويمكن القول أن معظم الروائيين إن لم يكن كلهم تطرقوا إلى كسر الطابو وجعلوا من الرواية الجديدة نصوصا تمردت عن المألوف، كما سعوا إلى تقديم ابداع تنكر للرواية التقليدية من أجل إنشاء عالم متميز يأبى الرضوخ للجمالية والتزييف التي كانت تقدمه الرواية الكلاسيكية، بل إن الرواية المعاصرة أضحت تلك الكتابة الروائية التي تستمد خطابها من عدة علوم كالتاريخ وعلم الاجتماع وعلم النفس... إلخ وبناء على ما سبق فإن تنوع الخطاب الروائي أضحى أهم سمة في الرواية المعاصرة، كما صار تفاعل الخطاب السياسي والديني والجنسوي تفاعلا يبني لحلقة حوار بين المؤلف والمتلقي، وهنا صارت الرواية المعاصرة نصا مفتوحا يسعى للبحث عن المسكوت عنه، انطلاقا مما سبق يمكن طرح الاشكاليات التالية:

- ما الفرق بين الرواية الكلاسيكية والرواية المعاصرة؟
- إلى أي مدى استطاعت الرواية المعاصرة تقديم وطرح مشكلات الواقع والمجتمع؟
- وكيف طرحت الرواية المعاصرة إشكالية الدين والجنس والسياسة؟
- هل تعدد الخطاب في الرواية الجديدة جعل منها رواية مختلفة؟

1- تجليات الابداع الروائي المعاصر:

تعد الرواية ذلك النص النثري الذي يكتب بأسلوب رائق من أجل امتاع القارئ، وتأريخً لأحداث متعاقبة وتحمل عديدًا من الشخصيات وتتضمن الكثير من المقومات الفنية، إلا أن الرواية من أول ظهورها إلى وقتنا الحالي ظلت تتطور شكلا ومضمونا، حيث سعى الروائيون والمبدعون إلى إنتاج نصوص مختلفة عن النمط الكلاسيكي الجمالي وأصبحت الرواية المعاصرة رواية تتضمن أنساقا مختلفة، وبفضل الدراسات الثقافية للرواية أضحت الرواية ذلك الفن العالمي الذي يسعى للبحث في مشكلات المجتمع، أي أن الرواية المعاصرة استطاعت «الخروج عن الكتابة الروائية التقليدية بما ضبطت لنفسها من حدود كأن يحرص الروائي حرصا شديدا على مشابهة الواقع ومحاكاته في نصه أو أن ينطلق من حدث، فيجعله متطورا منتهيا إلى نقطة ما، تطورا منطقيا أو سببيا، أو أن يبني نصه على تتابع زمني يتماهى مع الزمن الواقعي الذي نعيش إلى حد بعيد...»[1]

وحملت الرواية المعاصرة عدة تسميات منها: الرواية التجريبية، الرواية الجديدة، وقد أشار إليها عديدٌ من النقاد والباحثين أبرزهم الباردي وبرادة وغيرهم، كما أطلق عليها مصطلح الحساسية الجديدة في الرواية الجديدة الدكتور إدوارد خراط، وكان لتعدد الكتابات النقدية دور مهم في معالجة تاريخ الرواية العربية وهذا التطور الأدبي الروائي يمكننا تسميته بالتحول الثقافي الذي أنتج أنماطا ثقافية غيرت رؤى العالم، وقد أسهمت الحساسية الأدبية في الوصول لمرحلة التجريب التي مسَّت معظم الإبداع الروائي.

ويشير عبد المالك أشهبون في كتابه الحساسية الجديدة في الرواية العربية إلى أن الحساسية الأدبية تغيرت مرتين في تاريخ أدبنا العربي الحديث، فالأولى كانت «في بداية القرن التاسع عشر مع عصر الاحياء الذي شهد المحاولات الجنينية الأولى للأشكال السردية الجديدة، أما التغير الثاني للحساسية الأدبية فقد بدأت بذوره في التشكل في أعقاب الحرب العالمية الثانية وبعد فاجعة هزيمة يونيو 1967، وتبلورت في أعمال كثيرة لأدباء جيل الستينات، وهم رواد ما سمي لاحقا بكُتاب الحساسية الجديدة، ومن هنا نؤكد أن الانتقال من الحساسية التقليدية إلى الحساسية الجديدة في تاريخ الرواية العربية لم يكن انتقالا عاديا، ذلك أن صفة الحساسية الجديدة هي إشارة ضمنية إلى التغييرات التي لحقت الإشكاليات المطروحة على المجتمعات العربية، خلال العقود الثلاثة الأخيرة من القرن العشرين»[2].

إن أبرز ملمح مسَّ الرواية العربية هو تحولها وخروجها من الشكل التقليدي الجمالي، ودخولها عوالم التجريب، فالرواية العربية بهذا التمرد أعلنت عن ميلاد جديد في الابداع الأدبي، " وهي لحظة التحرّر من التحديدات والتقنيات التقليدية للكتابة والخروج إلى فسحة التعدد والتنوع في التجليات والتحققات النصية لتجعل من النص مجالا لإبلاغ صوت الكينونة المتكلمة خارج الواقع والمقتضيات الاجتماعية، وخارج ما تلوكه الخطابات السائدة الحريصة على تنظيم وقولبة العلائق وسنن القول بين الناس"[3]، فالكتابة الابداعية الجديدة لا تخضع إلى بنية ونظام محدد يحكمها كما كانت الرواية التقليدية بل تستمد بنيتها من خلال تحطيم المتداول وتخطيه، فهي «تستوعب أبنية خطابية متعددة كالديني والسياسي والتاريخي، ويأتي تداخل الخطابات وتعددها في اطار انفتاح الخطاب الروائي عليها، لتقوم بوظائفها في مجرى الخطاب وبتظافر مع الطرائق الموظفة في بنائه، مما يجعل الرواية تنفتح على أكثر من احتمال وتوقع، وهو مايكسب القراءة طابع خاصا ينهض على السعي إلى تفجير الأبعاد الخفية في النص» [4] وبهذا التحول صارت الرواية الجديدة تستلزم قراءة ثقافية وقارئا جديدا يختلف عن قارئ الرواية التقليدية، ذلك أن قراءة الرواية الجديدة تتطلب نشاطا ذهنيا وفاعلية اجتماعية، وهذا كله يحدث كلما تطورت وتحولت النصوص الأدبية والمناهج النقدية، وانطلاقا مما سبق فإن الرواية المعاصرة لم تعد مجرد كلمات فهي أصبحت " صورة أدق وأصدق عن المجتمعات العربية وهي غمرة التحولات المتسارعة، الكاشفة لتناقضات الخطاب المؤدلج مع فورة تبدلات المشهد العمراني والوعي السياسي والثقافي"[5].

حرصت كذلك الرواية المعاصرة على تعدد الخطاب فنجدها جمعت بين الخطاب السياسي والديني والايديولوجي والصوفي والاسطوري، وبفضل النقد الثقافي والدراسات الثقافية استطاع القاريء استخراج عدة أنساق مضمرة من هذه الخطابات، وبهذا صارت الرواية بشكلها الجديد شكلا مفتوحا يتحدى الانغلاق وأصبحت الخطابات بتنوعها تتفاعل مع بعضها لتؤسس كتابة جديدة تفتح أفق الحوار، ومنه الخطاب (الديني والسياسي والجنسي) نجد أن الابداع الروائي المعاصر اقتحم المحرمات وكسر المألوف.

قبات هذا الثالوث المحرم مباحا في الرواية المعاصرة ليحمل كل خطاب من هذا قضية معينة تمس على الأغلب مشكلات الوطن، حيث أن " البحث في إشكالية الدين والسياسة والجنس، يتنزل ضمن إطار حضاري أدبي يتصل بخصوصية البنية الثقافية المتداخلة والمتشابكة بين البلدان وإطارها الحضاري وهي علاقات لها جذورها التاريخية ومرجعيتها التراثية التي تمتد إلى الحاضر وتماثل تجربة مثاقفتها مع الآخر، وهذا ما يكشف عن جدل التفاعل بين المضامين الفكرية والأشكال الفنية، وأفق البحث في كل ما له علاقة بوضع الرواية من حيث مراجع الكتابة، وصيرورة التشكل، والأنماط التي تولدت عنه وما تتميز به كل منهما من خصائص تسهم مجتمعة في تشكيل خصوصية هذه الرواية على مستوى المتخيل، والآلية التي تحرك التجربة الروائية العربية " [6].

وتبقى هذه القضايا التي تقدمها الرواية قضايا تمس القارئ والمجتمع، سواء كانت دينية أو سياسية أو جنسية، فهذه القضايا تنتج من واقع، يجسده الروائي في موقف ثقافي وتاريخ وهنا يبرز شكل روائي متميز وشكل جديد في الابداع يمكن وصفها بالرواية المتمردة التي كسرت الكتابة التقليدية.

2- الثالوث المحرم في الابداع الأدبي:

برزت في الرواية المعاصرة والأعمال الابداعية الثالوث المحرم ((الدين والجنس والسياسية))، وهي رؤى فكرية ثقافية وجمالية تميزت بها الكتابة المعاصرة، حيث أن المضامين الفكرية لكل محرم لها أبعادها ودلالاتها، مما يقتضي على المتلقي البحث فيها واستخراج قراءة ثقافية وتأويلا لأهم القضايا التي يقدمها المبدع، وبالتالي يصبح الروائي والقاريء يحملان وعيا جديدا، أو بتعبير آخر أصبحت الرواية الجديدة بتقديم الثالوث المحرم كتابة جديدة تعمل على تعرية الواقع وكشف المخبأ وهذا ما يجب أن يكشفه القاريء من خلال قراءته فهو " لا يقرأ الشيء كما يقدم نفسه أو يعلن عن نفسه، بل كنظام أو قاعدة أو بناء أو ثقافة، لتبيان ما استنفذ واستهلك بين المقولات والأدوات، أو ما أمسى فاضحا ومعيبا من التصرفات والممارسات، أو ما بات تشبيحا وتعتيما من السلطات والمؤسسات " [7]، وبناء على هذا فإن الرواية المعاصرة تستلزم قراءة جديدة، قراءة تساعد على تغيير الواقع:

أ- إشكالية السياسة في التجربة الابداعية المعاصرة:

تتميز الرواية الجديدة في طرحها للمواضيع عن باقي الأجناس الأدبية، فهي لكي تقدم موضوعا أو فكرة تحتاج وقتا معينا لتتبلور الأحداث لدى الروائي، فوعي الروائي " للمرحلة الراهنة والمستمرة لا يتجسد في الموضوعات فحسب وإنما يتجسد بشكل أكثر دقة في وعي ومعرفة المحاور المركزية للمرحلة وامتدادها في المرحلة الأخرى، وبالتالي لا تطرح هذه المحاور في الرواية نفسها بشكل مباشر وحاد، وهي تخضع لاعتبارات وضرورات ليست بعيدة عن جوهرها ومسارها، وليست معزولة عن رؤيا الروائي نفسه ومستلزمات التعبير عن الموقف والرؤيا " [8]، ومنه فتمظهر الموضوع السياسي في الرواية ينطلق من هدف يرجوا الروائي استخدامه من أجله، كما أنه لا يمكن أن نلغي أن المبدعين الأولين لم يطرحوا الجانب السياسي في الرواية لكن تناولهم للموضوع السياسي كان تحت اعتبارات محددة بشكل لا يستطيع فيه الروائي الحرية في التعبير بشكل واسع وواضح، وذلك لأسباب منها السلطة الاستعمارية والاضطهاد وأنواع الارهاب التي برزت في مراحل مضت، فكان كل أديب يحاول اخفاء الموضوع السياسي تحت موضوع آخر لا يثبت تمرده وتورطه في الجانب السياسي الذي قد ينهي عليه، فالمبدعين كانوا ولا زالوا يؤمنون أن " الثقافة والمعرفة أداة لمقاومة الجهل والتخلف والاحتلال"[9]، لذلك كانت الرواية من أهم الأسباب التي سعت إلى توعية المجتمع عن ما هو مسكوت عنه.

إن الواقع السياسي والدراسات الثقافية مكنت المبدعين من امكانية انتاج نصوص ثقافية تطرح الجانب السياسي بكل صراحة، وهنا برزت صورة ثقافية مميزة، لتشكل على صعيد الابداع " أدلجة ستكون لها آثارها المحددة على توجيهه، ايديولوجية حملت في عهدها التسمية التقدمية الالتزام، وأثرت سلبا أو ايجابا في تكون جوهر الحملة الابداعية وفرض مقاييسها المستمدة في قيم اللحظة التاريخية التي ليست بالضرورة ما يريد النص توليده، قيم تحفز الروائيون على الالتزام في معركة مكافحة الظلم والاضطهاد الاجتماعي والسياسي"[10]، ومنه فإن التجربة الروائية المعاصرة تمت على أساس التحولات التي حدثت، كما أن دور أي كاتب مرتبط بالحركية التاريخية والواقع وكانت كذلك هناك حوافز سياسية ساهمت في مسار العملية الابداعية.

انطلاقا مما سبق فإن العملية الابداعية بطرح المبدع فيها الجانب السياسي تؤكد أن هناك علاقة وطيدة بين الروائي والمجتمع، فالروائي ينثر ما يختلج داخله من ثورة على ما لزم أن يعلمه المجتمع فيحاول جاهدا بلورة وتشكيل رؤيته في شكل فني تجعل من الوعي " ومن الممارسة الانسانية الانسان الفرد التي تولده وتغنيه باستمرار واقعا حقيقيا يمد جذوره في الفاعلية الماضية والواقع الراهن ويعكسهما، لكنه باستمرار يتخطى بل يجب أن يتخطى المعطى الجاهز وباستمرار يضيف على الواقع " [11]، فكاتب الرواية المعاصرة لا يفصل في نصه البنية الثقافية فهو على دراية بما يكتب من خلال الواقع السياسي والاجتماعي، وهذا التميز في الكتابة الابداعية المعاصرة جعل للرواية العربية خصوصية ذلك أنها فهي نتاج فكر انساني ورواية تاريخ سياسي، وبهذا فالرواية الجديدة بحثت في هموم الفئات والطبقات الاجتماعية بحيث اهتمت بالمواضيع السياسية والدينية والجنسية،

كما أثار الابداع أهم القضايا الثقافية، فالاستناد إلى حقائق التاريخ نجد " أن الروائي اتخذ من قضية القهر السياسي المسألة الأساسية في عمله الابداعي. وقضية قهر الانسان عنده ليست ضبابية أو مثالية، إنما هي متجسدة ببعدها السياسي والاجتماعي، لذلك يتمثل القص الروائي عن التاريخ والسياسة بكتابة المسكوت عنه، أي البحث عن ثغرات التاريخ اللامنطوقة، المهمشة والمغيبة " [12]، وبالتالي فعلاقة أي مبدع بالموضوع السياسي لم تعد شيئا خاصا بل هي أحد أهم الأسباب التي تنتج علاقته بالواقع كاملا وخاصة المجتمع، وهذه العلاقة قد تكون علاقة معقدة لأن الروائي يعود للماضي وعرضه وفهمه في الحاضر من أجل معالجة مشكلة تمس المجتمع، ليدفع بالمجتمع نحو المواجهة والتحدي ذلك أن " السلطة في وحدانيتها السياسية تنزع باستمرار إلى وحدانية الفكر، أي تجعل من ذاتها مثالا، وتكره الفرد والمجتمع على قبول هذا المثال والامتثال له "[13]، وهذا يعني أن الكاتب والروائي بإدراج الموضوع السياسي يدفع بالمجتمع والقارئ إلى البحث عن الديمقراطية ورفض كل أشكال القمع والاستبداد.

ب- الرؤية الدينية في الكتابة الابداعية:

يتميز الخطاب الديني بالتميز شكلا ومضمونا، فهو معتقد إنساني له قوانينه الشرعية التي تحكم المعاملات الانسانية، كما أنه النواة المركزية للمجتمعات العربية الاسلامية، ففهم هذا النوع من الخطاب هو الأساس للوصول إلى القضية التي تقدمها الرواية، ولذلك فإن " طرح إشكالية الدين، لا تتم بصورة كاملة إلا عندما تطرح جملة المفاهيم التي رانت على الحقل الديني، وهنا تستمر المساءلة والبحث عن المصطلح وتعدد المرجعيات التي أفرزت طروحاتها في سياقها التاريخي ذلك أننا لا نقطع دفعة واحدة مع الكلمات أو المفاهيم، أن الكلمات القديمة في الغالب هي التي تكلف بروتوكول القطيعة، طيلة الوقت الذي يستمر فيه البحث عن الكلمات، ومعاني جديدة، وبالتالي فصياغة الاشكالية صياغة جديدة جزء من تلك الاشكالية "[14].

ولا يمكن هنا وضع صورة متميزة اذا لم تتوفر جملة المفاهيم من أجل انتاج حقل معرفي مختلف عن المألوف، يستنبط قضاياه من تحليل يتفاعل مع متطلبات الدراسات الثقافية العصرية، ولقد كان التساؤل دائما قائم حول علاقة الدين بالابداع الروائي، لكن الكثير من النقاد والباحثين يرون أن معظم التخصصات الأدبية تتلاقى من الدين والفقه وهنا يقول الدكتور محمد عابد الجابري في كتابه تكوين العقل العربي أنه، " إذا جاز لنا أن نسمي الحضارة العربية الاسلامية بإحدى منتجاتها، فإنه سيكون علينا أن نقول عنها إنها حضارة فقه... فإنما نريد من وراء ذلك تأكيد الحقيقة التالية، وهي أن الفقه الاسلامي، كان أقرب منتجات العقل العربي إلى التعبير عن خصوصيته " [15]، فالجانب الفقهي يبقى في ثقافتنا العربية فكرا معرفيا متميزا وشاملا.

استمد الخطاب الديني مركزيته من علوم القرآن والأحاديث، ومن خلال هذه الثنائية تشكلت أسس الابداع الأدبي حيث عمد الأديب تقديم قضايا ثقافية تبعا لمساءلة واقع المجتمع، حيث أن كل أديب حين يُدخل الخطاب الديني في مدونته يعمل على " توحيد النص وبين قراءته وفهمه لهذا الخطاب، وبهذا التوحيد لا يقوم الخطاب الديني بإلغاء المسافة المعرفية بين الذات والموضوع فقط، بل يتجاوز ذلك إلى ادعاء ضمني بقدرته على تجاوز كل الشروط والعوائق الوجودية والمعرفية والوصول إلى القصد الكامن في هذه النصوص، وفي هذا الادعاء الخطير لا يدرك الخطاب الديني المعاصر أنه يدخل منطقة شائكة وهي منطقة ((الحديث باسم الله)). وهي المنطقة التي تحاشى الخطاب الاسلامي على طول تاريخه عدا استثناءات قليلة لا يعتد بها"[16].

ومنه فإن فهم المضمر في الخطاب الديني لا يتطلب أن يكون توحيدًا بين الفكر البشري والدين فقط، لأن الجميع يعرف كيف يتكلم بالإسلام والدين لكنه لا يعرف كيف يفهم الاسلام فهما عميقا وحقيقيا، فالحديث عن الاسلام الحقيقي لا يبلغه الا العلماء، ذلك أن الفهم الخاطئ للإسلام يشكل أبعاد خطيرة تهدد المجتمع والواقع، فلابد من إجتهادات العقل الانساني لتفسير وتوضيح القضية وفهمها، فالخطاب الديني يستند على التراث " ولا يكتفي بهذا، بل يعتمد المنهج الانتقائي النفعي نفسه حين يتعرض بالنقاش لكثير من القضايا،... كما يكاد يتمسك بالشكليات ويحرص عليها" [17].

وقع القارئ في خلط كبير بين الأدب والخطاب الديني أي المفاهيم الإبداعية وهذا كله لعدم فهم التصورات الثقافية والفكرية للعملية الإبداعية ذلك أن معظم القراء يحاولون ربط اللغة بالدين ربطا متينا، وأنه لابد من إعادة قراءة القضية الدينية قراءة أخلاقية في الفعل الإبداعي وهذا كله لعدم سعي القارئ إلى التفاعل مع جوانب ثقافية وتيارات فكرية وفنية، " فالرؤيا الدينية هي السبب الأصلي في تغلب المنحنى الثبوتي على المنحى التحولي في الأدب بعد مجيء الاسلام، أو بعبارة أخرى أن النظام الشامل الذي خلقه الدين كان العامل الأساسي الذي جعل المجتمع العربي في القرون الثلاثة الأولى، يفضل القديم على الحديث بحيث وضع القديم في محل الكمال واعتبر كل جديد خروجا على المثال والكامل "[18].

فالرؤية الدينية بامتزاجها في الابداع الفني والأدبي تنتج حقلا معرفيا، وبتفاعلهما تبرز رؤية مختلفة، فالمتلقي يعد ناقدا ومنتجا لابداع من ابداع، حيث بقراءته يوضح قيمة العمل الأدبي وهنا تظهر عملية التأثر والتفاعل بين الأنا والآخر من خلال ربط النص بالبنى الاجتماعية، في حين أن الرؤية الدينية تمس الحضارة العربية الاسلامية، لكن بعد عرضها في الأدب المعاصر صارت هذه الرؤيا الدينية رؤيا عالمية، " وهذا لا يعني أن الدين كان غائبا داخل التجربة الروائية الحديثة، بل احتلت زاوية من هذه التجربة، وشكلت رؤى لقضايا الواقع الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والثقافي، وحمل هموم مساءلة الروائيين، غير أن تشكل الرؤية الدينية عند

الروائيين تحددت بسياق مثاقفة فاعلة ومتفاعلة مع المفاهيم الفكرية والفلسفية التراثية" [19]، ومنه فإن الرؤية الدينية تقدم توجيها أخلاقيا فكريا وفلسفيا يحتاج فقط لقراءة واعية مدركة للنص الابداعي الذي أمامها، " وإذا أدركنا إتساع ما يؤسس له الدين في المجتمع العربي وتنوعه وما يتأسس عليه، وأدركنا أن الدين هو دين أمة، وأن المعرفة بالتالي هي معرفة أمة، ندرك سر ((النهي عن الفرقة))، وسر ((لزوم الجماعة))، فهما يعنيان لا فرقة فكرية، أو معرفية، بل لزوم المعرفة المجمع عليها بالنقل. وهما يعنيان أن للأمة الواحدة حقيقة واحدة، أي معرفة واحدة وثقافة واحدة. أو، بعبارة ثانية، إن تجانس الجماعة دينيا يقتضي تجانسها الفكري – المعرفي، وفي هذا نجد ما يوضح لنا الوحدة العضوية بين الديني والسياسي، أو بين سلطة النص ونص السلطة "[20].

انطلاقا مما سبق فإن أي روائي لم يدرج في نصوصه طرحا فقهيا فكريا دقيقا وواضحا، ذلك الطرح الذي اكتسح كل المجالات، وحاول غلق حدود الفهم، وأن يصبح المجتمع خاضعا لأوامر دقيقة، فالروائي بطرحة موضوع الدين داخل الرواية استطاع تجاوز وتخطي تلك الحدود المرسومة لفهم مغلق لحقيقة الدين، كما عمد إلى توسيع الفهم والمعرفة الدينية، وذلك عن دراية بالواقع التاريخي مضيفا إلى ذلك التجربة الذاتية.

فعلى القارئ أن يدرك أن التجربة الدينية لا يمكن أن تتوقف عند مذهب معين، وبذلك تصبح الرواية نص قابلا لقراءة جديدة، كما أن الرؤية الدينية في الابداع العربي لا تتنكر لقول الله ولا الرسول، بل هو غوص في عوالمه وقراءة مفتوحة على عدة تأويلات تثبت الحقيقة، «فالخطاب الديني حين يزعم امتلاكه وحدة للحقيقة لا يقبل من الخلاف في الرأي إلا ما كان في الجزئيات والتفاصيل، وهنا يبدو تسامحه واتساع صدره واضحا ومثيرا للاعجاب، يتسع للتشدد والتنطع، بل وللتطرف. ولكن الخلاف إذا تجاوز السطح إلى الأعماق والجذور احتمى الخطاب الديني بدعوى الحقيقة المطلقة الشاملة التي يمثلها، ولجأ إلى لغة الحسم واليقين والقطع»[21].

ولقد مرت على البلدان العربية أيام وسنوات صعبة ذلك جراء الفهم الخاطيء للدين بسبب أناس حاولت رسم صورة بشعة له، لكن الكتابة الروائية المعاصرة، وعلماء الدين سعوا إلى إعطاء الصورة الحقيقية للدين والوصول إلى المفهوم الحقيقي، فكانت الرواية المعاصرة تضع الموضوع الديني لتعالج قضية من وراء حجاب الحروف والكلمات، لأنه حدث في تاريخنا أضرار باسم الدين، « كالغلو في العصبية الدينية، وما نشأ عنها من اضطهاد وتعذيب وسفك الدماء، وأضرار عقلية كالتي نشأت من الخرافات والأوهام، وضيق في الأفق نشأ عن اضطهاد العلم والعلماء والفلسفة والفلاسفة، وجمود إلى درجة التحجر؛ ولكن هذه الأضرار ترجع إلى ما اعترى الدين من فساد لا إلى الدين نفسه، وترجع إلى سوء فهم رجال الدين دينهم على الوجه الصحيح أو فهمهم له فهما صحيحا ولكن شاءوا أن يكسبوا منه ويتاجروا به أما الدين نفسه فلا ينتج عنه إلا الخير»[22]

صارت إشكالية الدين تمثل تشكيلا فنيا في الابداع العربي المعصر على عكس الرواية السابقة التي كانت تعده أحد المحرمات، ومنه صارت الرواية المعاصرة تقدم الجانب الديني برؤية فكرية جديدة، وهذا كله نتيجة تطور آليات القراءة الثقافية المعاصرة، فالتجربة الابداعية والنقدية المعاصرة، «أقامت مستوى من القراءة والتأويل الممكن، فلئن كان المثل الأعلى للعبارة في الرؤية الدينية هو أن تكون واحدة المعنى لا يداخلها لبس وغموض ولا يتعدد تفسيرها عند القراء، فإن المثل الأعلى للقول الروائي هو أن يحمل من المعاني ما لا حصر له، بحيث تتعدد زوايا الرؤيا عند مختلف القارئين، ومن هنا تنبع التجربة الروائية وتتسع دائرتها في قراءة الدين وتأويله، لترسم حدود بين النص الديني – المقدس – والفكر الديني، والدين داخل التجربة الابداعية والكتابة الروائية »[23].

ج- تمظهرات الجنس في النصوص الروائية:

احتلت الكتابة الجنسية موقعا بارزا في الكتابة الروائية المعاصرة، بعد أن كانت أحد المحرمات التي تلغيها الكتابية الأدبية والروائية، ولفك إشكالية الجنس في الرواية وجب فهم مصطلح الجنس وتعميق قراءته، ذلك أن ولوج مواضيع الجنس في الرواية لم تكن ولوجا اعتباطيا بل كان لها أبعاد ودلالات حاول الروائي ايصال قضية ما من خلالها، وهنا علي زيعور يرى الجنس في العملية الابداعية لا يمكن حصره " في الاعضاء التناسلية للجسم أو عند حدود الاخصاب المحددة بفترة أو موسم، أو عمر، فالجسد الانساني من هذه النواحي شديد التعقيد، وهو كله مسرح الفعل الجنسي "[24].

فالفعل الجنسي يرتبط بالجسد، وإن كان قد برز الجسد بقوة في الدرسات السياسية والتجريبية لكنه، تعمق في الرواية المعاصرة، فالأحداث السياسية والتاريخ يشكلان نقطة تقاطع مع الجسد الذي تقريبا يرسم على أنه الوطن المضطهد في الرواية، ويبقى الوطن له علاقة بالانسان صاحب ذلك الجسد، " وعلاقة الانسان بذاته هي بالنهاية علاقة جسدية، ومن ثم تكون الحقائق الحاملة للمعنى هي حقائق الجسد ذاته الذي يحمل المعنى ذاته، وهذا التأصيل المفهومي للجسد الخاص، يدفعنا إلى الاقرار بأن الذاتية الإنسانية هي في أصلها ذاتية جسدية، وفي ذلك يتأكد البعد الاجتماعي والمعرفي للظاهرة الجسدية، وهذا ما انتهت إليه العلوم الانسانية المعاصرة التي تضايقت محاولاتها بالرغم من اختلاف مناهجها وأدواتها ومشاريعها لإنجاز مشروع أنثروبولوجيا جسدية " [25].

كثير من القراء من يختلط عليهم الأمر حول موضوع الجسد في الرواية، لكن بما أن الجسد متعلق بالكائنات سواء ذكرا أو أنثى فهو إذا ذو دلالات ورمزية لصورة عميقة تتعدى الصورة السطحية، ففكرة الجنس والجسد في الرواية تحمل صورا مشبعة بالمعاني المضمرة والأنساق الثقافية، فارتباط العالم بكل أحداثه بالجسد

والمجتمع له رمزية مركزية ورئيسة، تدرس أهم قضية من ما عاشته المجتمعات من ظلم وقهر، وبما أن الجنس هو عملية مشتركة بين الذكر والأنثى فهي تجسد فكرة الأنا والآخر، والمجتمع والسياسة، والوطن والمستعمر، هي جملة من الرموز الفلسفية التي أحدثتها الدراسات الثقافية المعاصرة بكل آلياتها لتطرح قضايا البشرية، قضايا الاستعمار الذي مزق الأمم، فالروائي بلغته المتينة والمكثفة استطاع وضع الجسد في دائرة معينة يستطيع القاريء من خلالها كشف المسكوت عنه، فالاغتصاب والعشق واللذة والصراع كلها قضايا رمزية مضمونها عميق ولغتها عميقة، وعليه " فاللغة التي كانت قديما تجسيدا لا يجادل، ووحيدا للمعنى وللحقيقة قد صار أحد افتراضات المعنى الممكنة "[26]، وهنا صارت النص يحمل قراءات مختلفة، وتأويلات متعددة.

برزت روايات لكتاب عرب عرضت فيها الجانب الجنسي بعريه الكامل ووصف فاضح، وهنا يمكن القول أنه فجر كل الطابوهات، فجسد المرأة في الرواية التقليدية كان مستحيل أن يخرج من غلافه ويتعرى، لكن الرواية المعاصرة بتقديمها للجنس بصورة كاشفة لم تعد ترى في تلك الصور إلا صورة الآخر، وهناك من الروائيين من جسد الجنس بطريقة الحب والعشق التي تمثل نقطة الحوار والتواصل مع الآخر، في حين تختلف الرؤية والتأويل في عملية الإغتصاب التي تجعل من المرأة الوطن المضطهد وتمثل من الآخر ذلك الدخيل والمستعمر، فالتاريخ يخفي الكثير من المآسي التي مرت بها المجتمعات العربية فكانت الكتابة الرواية المعاصرة هي بمواضيعها وكسرها الطابوهات تدفع بالمجتمعات إلى التوعية وإقامة ثورة لردع الظلم والاضطهاد ورفض كل ما هو فاسد.

وقد أشار أحمد أمين بقوله: " زاد الظلم وزادت الحال سوءًا ووجد في العصور الحديثة أفراد أدركوا سوء الحال أكثر مما أدركه سواد الشعوب وجربوا تجارب زادتهم إيمانًا بأن الحاضر السيء يمكن تغييره، وأن الظلم يمكن دفعه، وأنه لا سبيل إلى ذلك إلا بالثورة على النظام الحاضر والنظرة القديمة إلى الحياة وإحلال لنظام الصالح الجديد محل النظام الفاسد القديم، ودعوا إلى أن النظام القائم والفساد الحاضر ليس قدرا مقدورا، ولكنه نسيج من صنع الإنسان يستطيع أن ينقض عزله ويغزل بدله عزلا قويا متينا صالحا "[27].

لقد حول الروائي في نصوصه تلك النظرة الضيقة حول العلاقة الجنسية بشتى أشكالها وجعل منها رؤيا منفتحة على عوالم التأويل المختلف والبحث عن الحرية والتحرر، " فجسد المرأة الذي يشكل – طابو – لا يجوز الاقتراب منه، ولا الحديث عنه، إلا بتقديم ما اتفق عليه الآخرون، الذين ينظرون لها، فجسد المرأة لا يحمل غرائز فقط، فداخله يوجد ويكمن عالم آخر هو عالم الإنسان، عالم مقموع اجتماعيا،وعالم مستلب إنسانيا، وعقل مصادر عليه، حكم عليه ألا يفكر ألا يسأل، ألا يبحث عن حقيقته(...) ، إن قمع الجسد يمتح عناصره من سجل الذكورة بوصفها ايديولوجيا، وبالتالي فإن خصوصيات هذا الوضع تكمن في أن العالم المشيد سرديا داخل النص الروائي، لا ينزاح كثيرا عما تقدمه التجربة الواقعية بحكم انحيازها إلى منطق المذكر، وأحاسيسه

وإسقاطاته الثقافية" [28]، وأخيرا يمكن القول أن موضوع الجنس بلغته الفاضحة وسلوكاته لا يمثل تلك النظرة الضيقة لصورة أنثى وذكر فهو تجاوز تلك الحدود في الرواية المعاصرة، بل هو توضيح لأزمات المجتمع وحديث عن القمع والاستبداد، وتفجير للغامض والمسكوت عنه.

4. خاتمة:

في ضوء الدراسة السابقة يمكننا حصر بعض النقاط كنتائج لمضمون الموضوع وهي كالتالي:

- إختلفت الرواية المعاصرة عن الرواية التقليدية شكلا ومضمونا، وأضحت الرواية الجديدة تلك الرواية التي تستمد نظامها من داخلها ومنطقها الخاص من خلال تكسير الميثاق السردي التقليدي.
- تداخلت الخطابات وتعددت في الرواية المعاصرة، وأصبح طرح الموضوع السياسي والديني والجنسي مباحا من أجل طرح قضايا الوطن وأزماته، وانتاج قراءة ثقافية يستفيد منها المجتمع من أجل التوعية والبحث عن الحرية.
- إن الموضوع السياسي يمثل تلك الايدولوجيا التي تستطيع التغيير، فالرواية المعاصرة جسدت بتعبير متميز آلام وآمال الشعوب، وبهذا فإنها تقدم تلك الرؤية التي تهدف إلى النضال ورسم وطن تقدمي يسعى إلى الأفضل.
- الرواية المعاصرة عندما قدمت الجانب السياسي رسمت الواقع وتلك الصراعات التي عاشها المجتمع.
- استطاعت الرواية المعاصرة بالطرح السياسي أن تبرز القيم الفكرية والثقافية، وهذه القيم هي قيم الحرية والديمقراطية.
- إن الطرح الديني في الكتابة الابداعية هو طرح لقضايا فلسفية عميقة، والكشف عن سلوكات المجتمع.
- سعى الروائي في نصوصه إلى طرح النظرة الدينية بشكل مختلف دون المساس بالحقائق الإلهية، ويبقى العامل الديني ذلك العامل الأخلاقي، وبهذا برزت الرواية المعاصرة عن طريق تصوير المجتمع من الداخل وعلاقاته، وكشفا للواقع السوسيو ثقافي.
- إحتل موضوع الجنس مكانة هامة في الكتابة الابداعية المعاصرة، قصد الكشف عن قضايا عميقة.
- حملت المرأة مكانة رئيسة في الموضوع الجنسي وكانت هي مثل الوطن بكل تشابكاته وبذلك فإن الجانب الجنسي قدم للقاريء الحقيقة الموضوعية، وكشف عن المسكوت عنه

هوامش وإحالات المقال

[1]- عمر حفيظ: التجريب في كتابات ابراهيم درغوثي القصصية والروائية، دار صامد للنشر والتوزيع، ط1،المغاربية للطباعة والنشر، صفاقس، نوفمبر 1999، ص 19.

[2] عبد المالك أشهبون: الحساسية الجديدة في الرواية العربية، روايات إدوارد خراط نموذجا، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، بيروت، 2010، ص 12-13.

[3] - حسن المودن: الرواية والتحليل النصي، قراءات من منظور التحليل النفسي، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، بيروت، 2009، ص 7 – 8.

[4]- بن جمعة بوشوشة: سردية التجريب وحداثة السردية في الرواية العربية الجزائرية، المطبعة العربية للطباعة والنشر والإشهار، ط1، تونس، 2005، ص 19 – 20.

[5]- محمد برادة: الذات في السرد الروائي، قراءة في 40 رواية، دار الأمان، ط1، الرباط، 2014، ص 9.

[6] - عبد الوهاب بوشليحة: خطاب الحداثة في الرواية المغاربية ن نادي الاحساء الأدبي، ط1، 2011، ص 5.

[7] - علي حرب: هكذا أقرأ ما بعد التفكيك، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت، 2005، ص 18.

[8] - بوشليحة عبد الوهاب: خطاب الحداثة في الرواية المغاربية، مرجع سابق، ص 179.

[9] - فتحي البس: في الفسفة والثقافة والسياسة- كتابات مختارة، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، عمان- الأردن، 2017، ص 5.

[10] - أحمد المديني: الكتاب السردية في الأدب المغربي الحديث، المعارف الجديدة، ط1، الرباط، 2000، ص 29.

[11] - غالي شكري: الأدب والماركسية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1979، ص16.

[12] - عبد الوهاب بوشليحة: خطاب الحداثة في الرواية المغاربية، مرجع سابق، ص 188.

[13] - فيصل دراج وآخرون: الثقافة والديمقراطية، دار صامد للنشر، ط1، 1990، ص 47 – 48.

[14]- عبد الوهاب بوشليحة: خطاب الحداثة في الرواية المغاربية، مرجع سابق، ص 56 – 57.

[15] - محمد عابد الجابري: تكوين العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط4، بيروت – لبنان، 1989، ص 96.

[16] - نصر حامد أبو زيد: نقد الخطاب الديني، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء – المغرب، 2014، ص 30.

[17] - المرجع نفسه، ص 44 – 45.

[18]- ادونيس: الثابت والمتحول، بحث في الاتباع والابداع عند العرب، ج1، الأصول، دار الساقي، ط 7، بيروت – لبنان، 1994، ص 11.

[19]- عبد الوهاب بوشليحة: خطاب الحداثة في الرواية المغاربية، مرجع سابق، ص 65.

[20]- أدونيس: الثابت والمتحول، مرجع سابق، ص 16.

[21] - نصر حامد أبو زيد: نقد الخطاب الديني، مرجع سابق، ص 47.

[22] - أحمد أمين: فيض الخاطر، تق: عبد الرحيم الكردي، ج9، دار الكتب المصرية، ط3، القاهرة، 2009، ص 249.

[23] - عبد الوهاب بوشليحة: خطاب الحداثة في الرواية المغاربية، مرجع سابق، ص 67.

[24]- علي زيعور: اللاوعي الثقافي ولبغة الجسد والتواصل غير اللفظي في الذات العربية، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، مج 1، 1991، ص 73.

[25] - عبد الوهاب بوشليحة: خطاب الحداثة في الرواية المغاربية: مرجع سابق، ص 300 – 301.

[26]- ميخائيل باختين: الخطاب الروائي، تر: محمد برادة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ط 1، القاهرة – مصر، 1987، ص 131.

[27]- أحمد أمين: فيض الخاطر، تق، عبد الرحيم الكردي، ج8، مكتبة الآداب علي حسن، ط1، القاهرة، ميدان الأبرا، 2009، ص 29.

[28]- عبد الوهاب بوشليحة: خطاب الحداثة في الرواية المغاربية، مرجع سابق، ص 315 – 316.

قائمة المصادر والمراجع:

1. ادونيس: الثابت والمتحول، بحث في الاتباع والابداع عند العرب، ج1، الأصول، دار الساقي، ط 7، بيروت – لبنان، 1994.
2. أحمد المديني: الكتاب السردية في الأدب المغربي الحديث، المعارف الجديدة، ط1، الرباط، 2000.
3. أحمد أمين: فيض الخاطر، تق، عبد الرحيم الكردي، ج8، مكتبة الآداب علي حسن، ط1، القاهرة، ميدان الأبرا، 2009.
4. أحمد أمين: فيض الخاطر، تق: عبد الرحيم الكردي، ج9، دار الكتب المصرية، ط3، القاهرة، 2009.
5. بن جمعة بوشوشة: سردية التجريب وحداثة السردية في الرواية العربية الجزائرية، المطبعة العربية للطباعة والنشر والاشهار، ط1، تونس، 2005.
6. حسن المودن: الرواية والتحليل النصي، قراءات من منظور التحليل النفسي، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، بيروت، 2009.

7- فتحي البس: في الفسفة والثقافة والسياسة- كتابات مختارة، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، عمان- الأردن، 2017.

8- فيصل دراج وآخرون: الثقافة والديمقراطية، دار صامد للنشر، ط1، 1990.

9- عبد المالك أشهبون: الحساسية الجديدة في الرواية العربية، روايات إدوارد خراط نموذجا، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، بيروت، 2010.
10- عبد الوهاب بوشليحة: خطاب الحداثة في الرواية المغاربية ن نادي الاحساء الأدبي، ط1، 2011.
11- علي حرب: هكذا أقرأ ما بعد التفكيك، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت، 2005.
12- عمر حفيظ: التجريب في كتابات ابراهيم درغوثي القصصية والروائية، دار صامد للنشر والتوزيع، ط1،المغاربية للطباعة والنشر، صفاقس، نوفمبر 1999.
13- علي زيعور: اللاوعي الثقافي ولغة الجسد والتواصل غير اللفظي في الذات العربية، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، مج 1، 1991.
14- عمر حفيظ: التجريب في كتابات ابراهيم درغوثي القصصية والروائية، دار صامد للنشر والتوزيع، ط1،المغاربية للطباعة والنشر، صفاقس، نوفمبر 1999.
15- غالي شكري: الأدب والماركسية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1979.
16- محمد برادة: الذات في السرد الروائي، قراءة في 40 رواية، دار الأمان، ط1، الرباط، 2014.
17- محمد عابد الجابري: تكوين العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط4، بيروت – لبنان، 1989.
18- ميخائيل باختين: الخطاب الروائي، تر: محمد برادة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ط 1، القاهرة – مصر، 1987.
19- نصر حامد أبو زيد: نقد الخطاب الديني، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء – المغرب، 2014.